مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مَجَلَّةٌ - إِسْلَامِيَّةٌ - ثَقَافِيَّةٌ - جَامِعَةٌ - مُحَكَّمَةٌ

تَصْدُرُ سَنَوِيًّا عَنْ

كُلِّيَّةِ الدَّعْوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ

العدد الخامس والثلاثون

لسنة 1443 هجرية الموافق: 2021 ميلادية

أساليب التدريس الفعالة

دراسة استنباطية من النص القرآني

د. مصطفى محمد عبد الله حديد
الأكاديمية الليبية - فرع مصراتة

الملخص

تضع الدراسة الموسومة بـ» أساليب التدريس الفعالة، دراسة استنباطية من النص القرآني» بين يدي القراء مادة علمية، تضمن بيان الدور القرآني في التأسيس السليم لما يصلح حال الناس ومآلهم في التعليم.

وقد ناقشت هذه القضية العلمية وفق فكرة البحث الموضوعي، محاولة استنباط الرؤية القرآنية في ذلك، مبينة مرتكزات الأساليب التدريسية من الجانبين، التعليمي، والتنظيمي.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فللعلم مكانة عظيمة، وقيمة رفيعة، به تبنى الأمم، وتقام الحضارات، وتصقل الأفكار، وتضبط الرؤى، وتنظم مسارات الحياة المتعددة.

ولهذه المكانة للعلم رأينا عناية القرآن الكريم بتوجيه الناس للاعتناء به، وتوضيح معالم في طريق تحقيقه صافيا نقيا من كل الشوائب الفكرية والانحرافات التنظيمية وغيرها من معوقات البناء العلمي والتعليمي.

ولتحقيق ذلك الصفاء العلمي، والنقاء المعرفي بيّن القرآن الكريم جملة من الأساليب التعليمية التي ينبغي إعمالها في العملية التعليمية حتى تحقق المطلوب.

أهمية الدراسة، وسبب الاختيار

تتمثل أهمية الدراسة في كون القرآن الكريم قد أصل للأساليب التدريسية التي ينبغي توظيفها في خدمة مسيرة العلم؛ واعتماد ما ذكره المفسرون من إشارات علمية في هذا المجال؛ لتكون منطلقا ومرتكزا حضاريا للباحثين عن الترقي المهني في التعليم؛ ولذلك رأى الباحث اختيار هذا الموضوع مجالا للدراسة والبحث والاستنباط والإيضاح.

عنوان البحث:

وسمت الدراسة بالعنوان التالي: «**أساليب التدريس الفعالة، دراسة استنباطية من النص القرآني**».

مشكلة الدراسة:

حاولت هذه الدراسة الإجابة على السؤال الرئيس التالي: هل اعتنى القرآن الكريم ببيان أساليب تعليمية تفيد في البناء المعرفي السليم؟

أسئلة الدراسة:

يتفرع عن هذا السؤال الرئيس، الأسئلة التالية:

س1/ هل لتعلم العلم وتعليمه قيمة؟

س2/ هل أسس القرآن الكريم لضبط المسارات التعليمية؟

س3/ ما الأساليب التي يمكن وصفها بالتعليمية مما عرضه القرآن الكريم من تجارب تعليمية سابقة؟

س3/ ما الأساليب التنظيمية التي اعتنى القرآن الكريم ببيانها؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

أولا: بيان مكانة العلم اكتسابا وأداء.

ثانيا: إبراز دور القرآن الكريم في التأسيس للبناء العلمي السليم

ثالثا: عرض نماذج من الأساليب التعليمية المفيدة للناس في حياتهم.

رابعا: عرض نماذج من الأساليب التنظيمية للناس في حياتهم.

خطة الدراسة:

تناغما مع التصورات التقعيدية السابقة، جاء التصور العام للدراسة وفق الخطة التالية:

مقدمة

تمهيد: التأصيل لعناية القرآن الكريم بالتعليم وأساليبه

المطلب الأول: أساليب تعليمية

الفرع الأول: تقديم السؤال

الفرع الثاني: التثبت في المعلومة

الفرع الثالث: بذل الجهد

المطلب الثاني: أساليب تنظيمية

الفرع الأول: إلزامية التعليم

الفرع الثاني: تحديد الهدف من التعليم

خاتمة

تمهيد في التأصيل لعناية القرآن الكريم بالتعليم وأساليبه

خلق الله تعالى الإنسان وميزه بالعقل، وجعله مناطا للتكليف، وقاعدة للتمييز، ومنطلقا للتعلم والتعليم.

ومنحه بذلك مجالا للتفكر والتعقل لضبط شؤون حياته، وترتيبها وفق نظام يحقق له اكتساب المعارف التي تحيي روحه، وتنشط همته، وتدفعه إلى الحركة بالقرآن الكريم، والسنة النبوية؛ حتى يحافظ على الأمانة التي تعهد بحملها.

هذا التحمل الذي يدفعه إلى السعي الحثيث للأخذ بأسباب تحققه وتمثله بصورة الموفين بعهودهم، الصادقين مع خالقهم، الساعين لتحقيق الخلافة البشرية لهذا الكون الفسيح.

يبعث في مكامن نفسه أهمية الترتيب العلمي للمعارف والمعلومات، والتنظيم الفكري للرؤى والتصورات، ولا مجال لتحقيق ذلك إلا بالعلم المنضبط من طرقه ووسائله السليمة المنظمة، وأساليبه المقررة في الشريعة الإسلامية.

ومن هنا نتبين قيمة العلم اكتسابا وأداء؛ إذ به وقعت المفاضلة بين آدم والملائكة، قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[البقرة: 31، 33].

بل إنه قضى عليهم بالسجود بعد المفاضلة بالعلم، وفعلوا بعد ما علموا من مزيد علمه عليهم، قال جل وعلا: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: 34].

ومما يبين لنا قيمة العلم وأنه ميزان مهم في التعاطي مع الأشياء، عده ضابطا للقول، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 168، 169]، فنلاحظ في هذه الآية الكريمة أن القول بغير علم منهج شيطاني، لا ينبغي

أن يتخلق به أحد، إذ الشيطان يستغل سلطانه على الناس، وإمكانيته للوسوسة لهم؛ ليأمرهم «بالأفعال السيئة، وأغلظ منها الفاحشة كالزنا ونحوه، وأغلظ من ذلك وهو القول على الله بلا علم»[1].

ومن مرتكزات قيمة العلم التي أبرزها كتاب الله تعالى أن رتب عليه الأسرار الكامنة في تطبيق العبادات، كالصيام، والذكر، والصلاة وغيرها، قال تعالى:

﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[البقرة:184]، وقال سبحانه: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾[البقرة:238،239]، وقال عز وجل: ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾[البقرة:280].

وقرن بينه وبين التعقل في إفادة المعلومات واستقائها من مصادرها الأصلية، قال تعالى:﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[النحل:43]

كما بين القرآن الكريم أن العلم محطة انتقال تميز بها الخلق بعد مجيئهم لهذا الوجود لا يعلمون شيئا، مما يبعث في أنفسهم السعي لتحصيله والظفر به؛ توظيفا منهم لوسائل التعلم الرئيسة، المتمثلة في السمع والأبصار والأفئدة، قال عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[النحل:78]

كما أنهم يسعون لذلك ليغنموا تعلم الحكمة التي وصفت بالخير الكثير في قول الباري سبحانه: ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾ [البقرة:269]، وهي مما يحصل بالتعلم، قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾[البقرة:151].

المطلب الأول: أساليب تعليمية

الفرع الأول: تقديم السؤال

الفرع الثاني: التثبت من المعلومة

(1) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، 1/ 479.

الفرع الثالث: بذل الجهد

==========

الفرع الأول: تقديم السؤال

من أساليب القرآن الكريم التعليمية أنه يقدم السؤال ويعرضه على المتلقي؛ استدعاء لذهنه، وإثارة لتفكيره، وقد يكون ذلك لتقرير حقيقة معنوية بمشهد محسوس، قال تعالى مخاطبا الملائكة في شأن آدم عليه السلام: ﴿ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[البقرة:31].

﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾[مريم:65]، هذه الآية تقصد بيان انتفاء المثيل والشبيه عن الله تعالى[1]، لكنها لم تعرض ذلك بأسلوب إخباري اعتيادي عند العرب، إنما عمدت إلى أسلوب الاستفهام التقريري الذي يهدف إلى التوجيه «لوجوب عبادته وحده، أي إذا صح أن لا مثل له، ولا يستحق العبادة غيره، لم يكن بدّ من التسليم لأمره، والقيام بعبادته، والاصطبار على مشاقّها»[2].

ومن أشهر التوظيفات القرآنية لأسلوب السؤال التعليمي، ما جاء في قصة الذي مر على قرية، فسأل، ﴿أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ﴾[البقرة:259]، ووصف حاله وحال من حوله بأنهم متباينون «في المصائر، والجميع في مكان واحد، معرضون لمؤثرات جوية وبيئية واحدة»[3].

وفي ذلك آية «على القدرة التي لا يعجزها شيء، والتي تتصرف مطلقة من كل قيد، وليدرك الرجل كيف يحيي هذه الله بعد موتها»[4].

وبعد بعث هذا السائل، وسعيا لتقرير قضية عقدية أصيلة في المنهج الإسلامي، قضية بدء الخلق من عدم، وإعادته بعد الفناء، جاء الجواب غير

(1) تفسير القرآن العظيم، 5/ 250.

(2) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، 107/7.

(3) في ظلال القرآن، سيد قطب (إبراهيم حسين الشاربي)، 1/ 300.

(4) المصدر نفسه.

المباشر، المتضمن السؤال الآتي ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾[البقرة:259]؛ يهدف به إلى تعليم السائل ما أشكل عليه بكيفية تضمن بقاء الأثر في تصوره المعرفي عن قضايا المعرفة المتنوعة.

كما تُؤسس هذه الآية مع غيرها من آيات الاستفهام في القرآن الكريم لمنهج تعليمي تربوي، يعتمد في أساسه على استثارة عقل المخاطَب، حتى يكون تلقيه للمعارف والعلوم عن تصور حقيقي مبني على النظر والتأمل، لا على مجرد التلقي المباشر فقط، وفي ذلك تنويع للأساليب التعليمية.

ويماثل ذلك اعتراض نبي الله إبراهيم عليه السلام على والده في عبادته للأصنام، حيث استعمل معه أسلوب الاستفهام؛ استدعاء لعقله، لعله يستثمره في الاهتداء، فقال له: ﴿ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾[الأنعام:74] «المقصود أن إبراهيم -عليه السلام- وعظ أباه في عبادة الأصنام، وزجره عنها، ونهاه فلم ينته»[1]، كما حكى القرآن الكريم استفهام إبراهيم لأبيه في موطن آخر عن هذه القضية، قال تعالى على لسان إبراهيم -عليه السلام-: ﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴾[مريم:42]

خطاب يمثل سلامة الفطرة، وتكامل الفكرة التي أراد إبراهيم عليه السلام تعليمها لأبيه وقومه، وإفادتهم بها حتى يسلموا وينالوا النعيم المقيم يوم القيامة.

ويشتمل على بعد تربوي يفيد المربي «لا سيما الأب مع أبنائه، والمعلم مع طلابه، وذلك في طرح موضوع يشد انتباههم؛ لتتوق أنفسهم إلى استكشاف خباياه، ومعرفة مكنوناته، فتستهوي أنفسهم السؤال والنقاش؛ ليبدأ الحوار الذي تصاحبه آدابه في جوٍ يسوده الهدوء، ثم يبين لهم ذلك المربي ما أراده من هذا الموضوع، فيكون ذلك أدعى لاستيعابهم له، ورسوخه في أذهانهم، مما لو ألقاه لهم مباشرة»[2].

(1) تفسير القرآن العظيم، 3/ 289.

(2) أسلوب الحوار من خلال سيرة مصعب بن عمير - رضي الله عنه - وتطبيقاته التربوية، عدنان

الفرع الثاني: التثبت من المعلومة

أصَّل القرآن الكريم لهذا الأسلوب التعليمي في قول الباري سبحانه: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾[الحجرات:6]، هذا الأصل يمثل المرتكز الأهم في قضية التبين من صحة نسبة المعلومة من عدمها.

كما أنه يعرض لقضية تمس كيان المجتمع المسلم الذي يهدف القرآن الكريم لتوحيد صفه وتقويته في سائر الأزمنة والأمكنة، هي قضية البهتان في حق المسلم؛ حيث جعلها معيارا وسببا لندم المتكلم بغير تثبت، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء:112]، فهذا النص يتضمن عموم الحكم في حق من يُخون الناس ظلما، ويبتعد عن التثبت في المعرفة والحكم[1].

هذا الأصل العظيم يبعث في نفس المتعلم مبدأ الثقة عندما يرىٰ التزام معلمه به؛ فيضمن بذلك سلامة ما يتحصل عليه من معلومات، ونقاء ما يظفر به من معارف متنوعة، وهذا ما يمكن تصوره من قصة يوسف عليه السلام، حينما بعث إليه الملك صاحبه الذي التقاه في السجن يسأله عن تعبير الرؤيا؛ فذهب إليه واستقىٰ منه المعرفة، ورجع بالنقل الموثوق عن المصدر؛ لما علمه من صدق يوسف عليه السلام، فهو من أوَّلَ له ولصاحبه الرؤيا، وبين له أنه مما علمه ربه، وفي ذلك إقرار بما ينمي الثقة بين الأطراف المجتمعة في مكان محدد.

هذا المشهد التوثيقي هو الذي أوضحه المولىٰ عز وجل في قوله تعالىٰ: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:46].

أسلوب تربوي يؤسس لمبدأ اليقين في الحكم علىٰ الأشياء، ويربي المتلقي علىٰ بذل الوسع في إثبات القضايا بأدلتها العلمية والمنطقية، بعيدا عن شبهات

بن سليمان بن مسعد الجابري، ص42.

(1) ينظر تفسير القرآن العظيم، 2/ 410.

الاحتمال التي تسقط الاستدلال، فالتربية الإسلامية لم تكتف «بتقديم المنهج، والمواد العلمية للناشئ مصفاة خالصة من كل شائبة، أو تحريف بل ربت الناشئ على الامتناع عن قبول أي شيء دون التثبت منه، وبهذا ربت عنده مناعة ضد كل تحريف أو خرافة، وربته على الأمانة العلمية، والتفكير المنطقي، فأصبح لا يقبل حقائق العلم إلا صحيحة، ولا الأخبار التاريخية إلا صادقة»[1]، ومن التزم بذلك يضمن لنفسه السلامة في التلقي والرواية.

الفرع الثالث: بذل الجهد

الإنسان بسَيره في هذه الحياة يبحث عن تكوين شخصيته العالمة بمهمات الأمور، المترفعة عن سفسافها، فيبذل لتحقيق ذلك الغرض أقصى غاية الجهد، حتى يحقق ما يصبو إليه، فلا توقفه عثرات الطريق زمن المسير، ولا تمنعه الأخطاء والأغلاط من تكرار المحاولة تلو المحاولة حتى يصل.

هذا الأسلوب التعليمي عاشه موسى عليه السلام مع الرجل الصالح في رحلته البحرية التي طلب موسى خوضها معه، حيث قال له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[الكهف:66]، وقَبِل بشرطه ألا يسأله عن شيء مما يعايشه، لما له من رغبة التعلم والاستزادة المعرفية، قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾[الكهف:70]

وبالفعل دخل عمليا في مرحلة بذل الجهد، والاجتهاد في زيادة التعلم، حتى يرتفع قدرا ومكانة عند الله تعالى.

ولنا في رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة في هذا المقام، حيث كان «يلاحق الوحي فيردد ألفاظ القرآن وآياته قبل أن ينتهي الوحي مخافة أن ينسى، وكان ذلك يشق عليه، فأراد ربه أن يطمئن قلبه على الأمانة التي يحملها، ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ

(1) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، ص125.

وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:114]»[1].

هذا الأسلوب التربوي يحيي في الإنسان المعتني به النشاط، والحيوية، والتفاعل الإيجابي، ويحميه من الفتور والخمول والكسل.

كما أن تارك هذا الأسلوب «لن يدرك أسرار الكثير من المعاني التي يتعلمها، وكيف لا، وهو لا يمارسها في الواقع العملي، كالبئر التي إذا ما تُركت ولم يستخدمها الناس أسِنت وغاض ماؤها وجفت»[2].

المطلب الثاني: أساليب تنظيمية

الفرع الأول: إلزامية التعليم

الفرع الثاني: تحديد الهدف من التعليم

==========

الفرع الأول: إلزامية التعليم

بدأ الخطاب الإلهي للنبي صلى الله عليه وسلم بفعل أمر يبين مبدأ مهما من مبادئ رسالة الإسلام، مبدأ القراءة، حيث صح أنه كان يتعبد في غار حراء «فجاءه الملك، فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم قال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[العلق:1-5][3]».

توجيه إلهي للتعلم الذي يترتب عليه استمرارية الدعوة إلى الله تعالى، فلا

(1) في ظلال القرآن، 1412م، 4/ 2353.

(2) التوازن التربوي وأهميته لكل مسلم، مجدي الهلالي، ص35.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، باب: وقول الله جل ذكره: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾، 1/7، من حديث عائشة رضي الله عنها، رقم 3.

يُتصور أن أحدا يصيب البينة التي أراد الله لعباده بغير علم.

وهذا التعبير القرآني المتضمن الأمر بالقراءة فيه بيان قيمة تفضل الله تعالى على عباده بنعمة التعليم.

كما أن ذكر الله تعالى لهذا الأمر يبيّن مكانة التعلم بالقلم؛ "لما فيها من تخليد العلوم، ومصالح الدين والدنيا"[1]، وبيان لما يترتب عليه من مصلحة إقامة الدين، وصلاح العيش، فما "دونت العلوم، ولا قيدت الحِكَم، ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة، ولولا هي ما استقامت أمور الدين والدنيا"[2].

إذ "القلم كان وما يزال أوسع وأعمق أدوات التعليم أثرا في حياة الإنسان، ولم تكن هذه الحقيقة إذ ذاك بهذا الوضوح الذي نلمسه الآن ونعرفه في حياة البشرية، ولكن الله –سبحانه- كان يعلم قيمة القلم"[3].

ويظهر إيجاب التعليم من حيث أثره المترتب عليه، حيث إن الإنسان ملزم بتعلم ما افترض عليه من أحكام، وهذا يستدعي أن يبحث عن معلم يبين له ما يجب عليه اعتقاده من أصول الدين، وأداؤه من العبادات والطاعات.

وفي البعد التربوي فإن التزود «بالعلم الدائم والمستمر بالمعلومات والحقائق العلمية يعينه في دروسه وتعليمه، كما يعينه على الإجابة على أسئلة المتعلمين واستفساراتهم»[4].

الفرع الثاني: تحديد الهدف من التعليم

بذل الوسع في التعلم إن لم يصحبه هدف محدد، فقد تنعدم منه الفائدة، فيكون لغوا، ويظهر لنا ذلك من قصة موسى عليه السلام وفتاه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي، 496/2.
(2) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، 120/20.
(3) في ظلال القرآن، 6/ 3939.
(4) السؤال في القرآن الكريم وأثره في التربية والتعليم، أحمد بن عبد الفتاح ضليمي، ص286.

قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾ [الكهف:60]، هدف مقرر مهما كانت وعورة الطريق، وطول زمن الرحلة الذي يتعذر تحديد ابتدائه وانتهائه[1].

نقف على تحديد الهدف في العملية التعليمية من تدبر قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ﴾[البقرة:102]، حيث جعلا تعليم الناس السحر مرتبطا بهدف يسعيان لتحصيله منهم، وهو الكفر بالله تعالى، وما يترتب عليه من إلحاق الضرر بالخلق.

وعندما نقف أمام قول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ﴾[الأنبياء:80] نعايش الهدف من تعليم داود عليه السلام صناعة اللبوس الذي يوفر الحماية في الحرب، ويقي الجسم من الضرر أثناء القتال[2].

ونرى هذا الأسلوب في قصة المباهلة، حيث طلب النبي صلى الله عليه وسلم من خصومه الابتهال إلى الله تعالى، كما ذكره قول الباري سبحانه: ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران:61]، فهذه الآية حددت الهدف من الدعوة إلى المباهلة بين النبي صلى الله عليه وسلم ومن جاءه من وفد نصارى نجران، بأن تكون لعنة الله على الكاذبين، فلم يطلق الدعوة جزافا دون بيان نتائجها المرجوة[3].

هذا الأسلوب له بعد تربوي يتمثل في العمل على وضع رؤية شمولية للعملية التعليمية تحقق الأثر الإيجابي في جانب الإصلاح المجتمعي بكل جزئياته ومكوناته، الفكرية والتربوية والسلوكية، فيشمل «المفاهيم والتصورات في

(1) وقفت على هذه الفكرة في الظلال بعد أن دونتها، ينظر في ظلال القرآن، 4/ 2278.

(2) ينظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، 15/ 9610.

(3) ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، 265/3.

العقل، وإصلاح الإيمان في القلب، وتزكية النفس وترويضها على لزوم الصدق والإخلاص والتواضع والإيثار، ويشمل كذلك ضبط حركة المرء، والتعود على بذل الجهد في سبيل الله عز وجل؛ لتكون ثمرة هذا التغيير -في هذه المحاور- تنشئة المسلم الصالح المصلح الذي تتأسس عليه الأسرة المسلمة»[1].

خاتمة:

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1/ اعتنى القرآن الكريم بتوجيه الناس إلى التأسيس العلمي السليم.

2/ ذكر القرآن الكريم جملة من الأساليب التعليمية التي تسهم في البناء المعرفي.

3/ عرض القرآن الكريم نماذج من الأساليب التنظيمية التي تؤسس لتنظيم الحياة البشرية.

التوصية:

توصي الدراسة بزيادة البحث في القرآن الكريم في جوانب التأصيل البنائي لتنظيم الحياة البشرية في شتى المجالات المعرفية والعملية.

==========

المراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1/ أسلوب الحوار من خلال سيرة مصعب بن عمير - رضي الله عنه - وتطبيقاته التربوية، عدنان بن سليمان بن مسعد الجابري، أطروحة للماجستير في التربية الإسلامية بقسم التربية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بإشراف: د عبد الرحمن بن رجاء الله الأحمدي، 1433/ 1434هـ.

2/ أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، ط/ الخامسة والعشرون، 1428هـ، 2007م.

3/ التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، ت/ الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ط/ الأولى، 1416هـ.

(1) نظرات في التربية الإيمانية، مجدي الهلالي، ص4.

4/ تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.
5/ تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، ت/ سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط/ الثانية 1420هـ، 1999م.
6/ تفسير المنار، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
7/ التوازن التربوي وأهميته لكل مسلم، مجدي الهلالي، دار السراج، ط/ الأولى، 1430هـ، 2009م.
8/ الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ت/ أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط/ الثانية، 1384هـ، 1964م.
9/ السؤال في القرآن الكريم وأثره في التربية والتعليم، أحمد بن عبد الفتاح ضليمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط/ الثالثة والثلاثون، العدد 111 - 1421هـ/2001م.
10/ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ت/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط/ الأولى، 1422هـ.
11/ في ظلال القرآن، سيد قطب (إبراهيم حسين الشاربي)، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط/ السابعة عشرة، 1412م.
12/ محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، ت/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/ الأولى، 1418هـ.
13/ نظرات في التربية الإيمانية، مجدي الهلالي.